إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ

عبد العزيز بن ناصر الجليل

إِن تَكۡفُرُواْ

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رقم الإيداع ٢٦٧١٣ / ٢٠١٦م

ISBN: 987 – 977 – 430 – 208 – 4



جمهورية مصر العربية

٤٢ شارع جزيرة بدران - أول شبرا - القاهرة - هاتف وفاكس ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٧٤٩٢١

المدير العام/ ٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥

الأزهر - ١٦ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر

محمول: ٠٠٢٠١٠٦١١٦٤٤٤٠٦

E-mail: darelsafwah@yahoo.com :

www.dar-alsafwa.com

إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ

تأليف

عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل

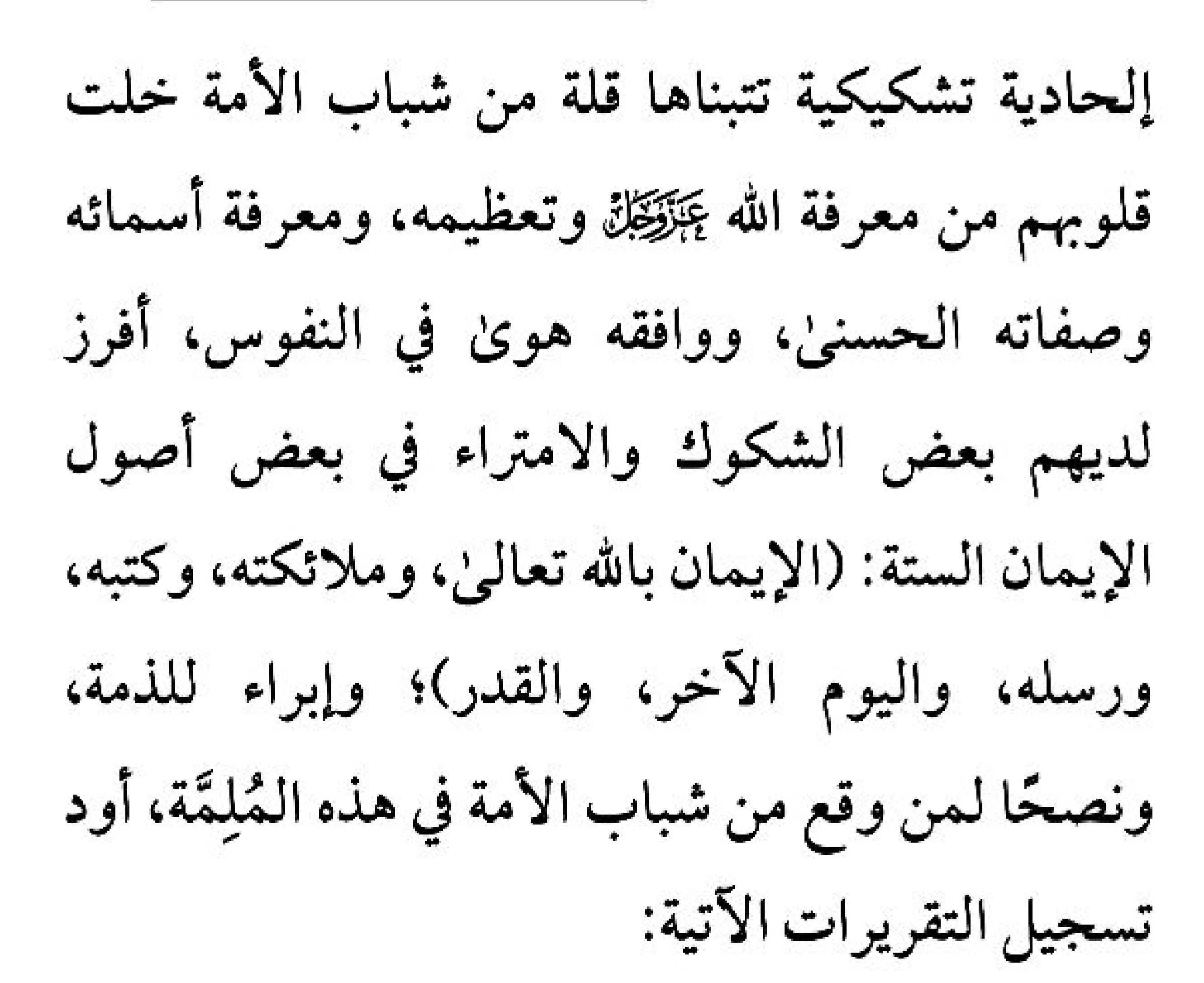


إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد نقل لي بعض الإخوان صورة مفزعة من بعض من قابلوهم من الشباب، أو سمعوه ورأوه في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية؛ من ظهور مواقف



إلحادية تشكيكية تتبناها قلة من شباب الأمة خلت قلوبهم من معرفة الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيمه، ومعرفة أسمائه وصفاته الحسنىٰ، ووافقه هوىٰ في النفوس، أفرز لديهم بعض الشكوك والامتراء في بعض أصول الإيمان الستة: (الإيمان بالله تعالىٰ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر)؛ وإبراء للذمة، ونصحًا لمن وقع من شباب الأمة في هذه المُلِمَّة، أود تسجيل التقريرات الآتية:

التقرير الأول

أنصح في هذا التقرير مَن وقع في هذه الآفة الخطيرة أن يشعر أولًا بخطورة ما هو فيه، وأنه أمر كارثي، نهايته العذاب السرمدي يوم القيامة إن لم يتوبوا ويعرفوا لله عَزَّوَجَلَّ قدره وتعظيمه.

إنهم بذلك إنما يضرون أنفسهم، والله عَزَّوَجَلَّ غني عنهم وعن عبادتهم وأعمالهم، ولن يضروا الله شيئًا، وأذكِّرهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم

مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر:٧].

وكذلك قوله سبحانه عن أنبيائه عليهم السلام: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٩].

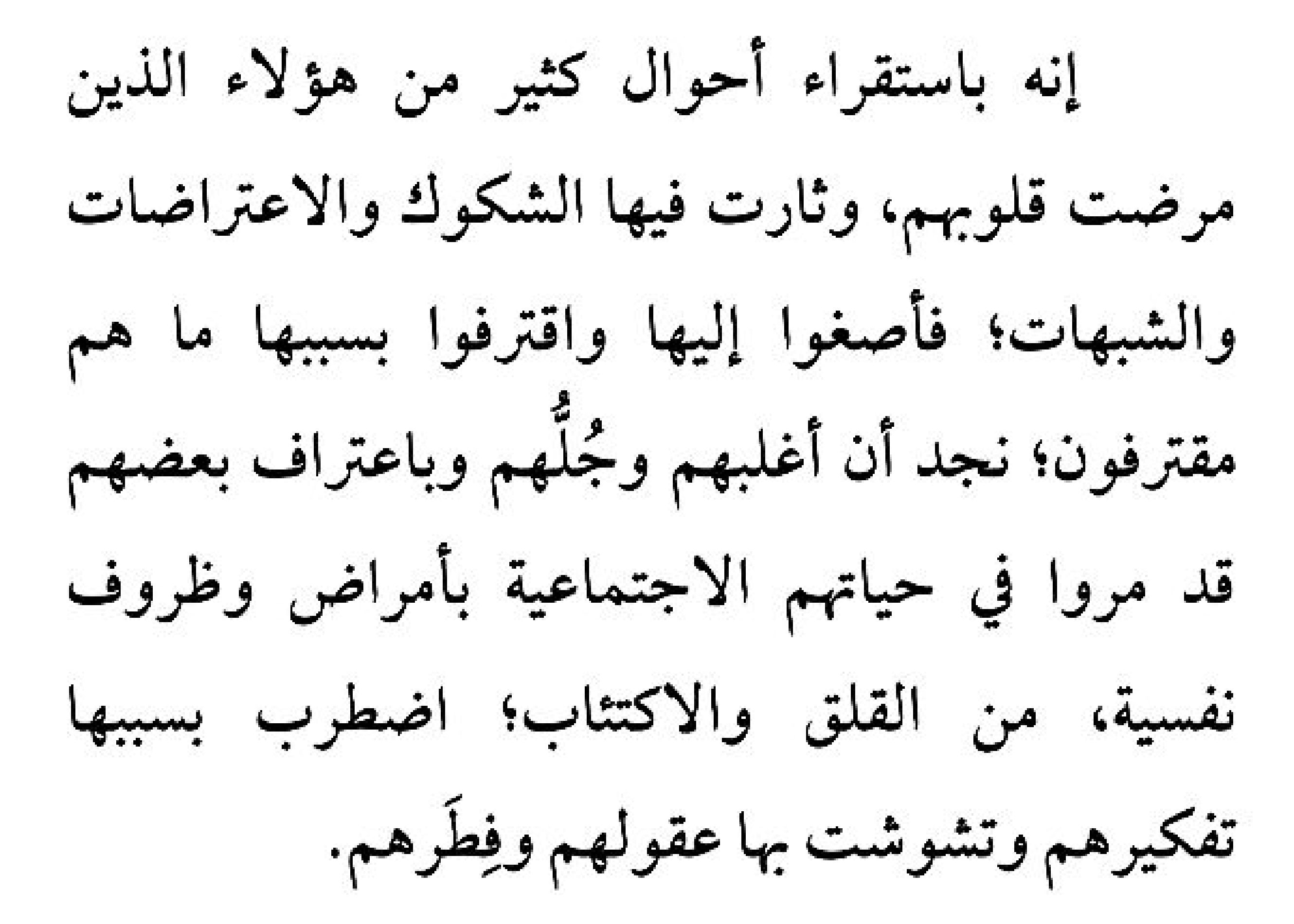
وقوله سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل:٤٠].

كما أذكرهم قوله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه سبحانه: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا! يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر**

قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا...» الحديث. رواه مسلم.

❋ ❋ ❋ ❋

التقرير الثاني



إنه باستقراء أحوال كثير من هؤلاء الذين مرضت قلوبهم، وثارت فيها الشكوك والاعتراضات والشبهات؛ فأصغوا إليها واقترفوا بسببها ما هم مقترفون؛ نجد أن أغلبهم وجُلُّهم وباعتراف بعضهم قد مروا في حياتهم الاجتماعية بأمراض وظروف نفسية، من القلق والاكتئاب؛ اضطرب بسببها تفكيرهم وتشوشت بها عقولهم وفِطَرهم.

وبدلًا من أن يعالجوا هذه الأمراض النفسية من جذورها، راحوا يُسقِطون معاناتهم علىٰ التشكيك

في مسائل الإيمان والغيب، واستغل الشيطان الرجيم ضعفهم هذا، فأزَّهم إلىٰ هذه الشكوك والشبهات أزًّا، وزينها لهم في عقولهم المشوشة، وإلا فإنه لا يمكن أن يوجد سَوِيٌّ في عقله وتفكيره، وفطرته ونفسيته، ثم يميل إلىٰ هذه الأمراض والشكوك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد أودع في الفطر والعقول السوية السليمة معرفته سبحانه، وتعظيمه، ومحبته، وعبادته: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

وقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم، وفي أكثر من آية، أن كلَّ من كفر فإنه قد ألغىٰ عقله؛ لأن العقل السليم يهدي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ

لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ [النحل:١٢].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج:٤٦].

* * * *

التقرير الثالث

إن أصل الأصول في أركان الإيمان: الإيمان بوجود الله تعالىٰ، والإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، فإذا استقر هذا الإيمان في القلب لزم عليه الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر؛ أخباره كلها، والإذعان لأحكامه كلها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥]؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام.

والمقصود: أن الإيمان بالله هو أصل الأصول،

وبتحقيقه تتحقق بقية الأصول والأحكام؛ ولذا ففي هذا التقرير سيكون التركيز علىٰ إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه الخالق لكل شيء، المتفرد بالربوبية، والألوهية، وكمال الأسماء والصفات، وبقية الأركان تابعة لذلك.

فأقول وبالله التوفيق:

إن الإيمان بوجود الله عَزَّوَجَلَّ، وتفرده بالخلق والأمر؛ هو أمر مستقر في القلوب والفِطَر السليمة، ولا يجادل في ذلك إلا من فسدت فطرته، واضطرب عقله بمؤثرات خارجية؛ بل إن الذين يجادلون في ذلك يشعرون بصراع داخلي بين الفطرة والعقل وبين أهوائهم؛ كما قال عنهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ

عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]؛ ولذلك لن نطيل الكلام في إثبات أمر تدل عليه الفطرة والعقل والحس والسمع، وأكتفي بما قاله الله عز وجل وهو يخاطب عقول الجاحدين، وذلك في بضع كلمات بينات: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٦].

جاء في «**صحيح البخاري**»: «أن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، قال: كاد قلبي أن يطير» أي: لظهور الحق ووضوح بطلان الباطل.

وتكفينا هذه الآية حجة عقلية على الملاحدة

والدهريين، ولا حاجة لنا بعدها إلىٰ كلام أهل الفلسفة والمنطق في ردهم علىٰ الملاحدة، بواجب الوجود وممكن الوجود، وغير ذلك من فلسفة أهل الكلام وسفسطاتهم.

إن الله عَزَّوَجَلَّ يخاطب عقولهم إن كان لهم عقول يفقهون بها، ويُوقِفهم أمام سؤالَيْن كبيرَيْن ليجيبوا عنهما جوابًا صريحًا، مقنعًا لمن يحترم عقله وفطرته وإنسانيته.

فأما الأول: فقوله سبحانه: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾؛ أي: أَخُلقوا وخُلق هذا الكون من حولهم بنظامه الدقيق من غير خالق مريد عالم قادر حكيم، وإنما بمجرد الصدفة والموافقة العمياء تَشكَّل هذا الخلق العظيم الدقيق المنتظم في الآفاق والأنفس؟!

وأما الثاني: فقوله سبحانه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: إذا كانوا لا يقولون إن هذا الخلق المنتظم المتناسق، الذي تبرز فيه الحكم الباهرة، لا يمكن أن يكون بغير خالق؛ فهل هم إذن الذين خلقوا أنفسهم والكون من حولهم؟!، هذا ما لم يقل به أو يدعيه أحد من الخلق؛ لا في القديم ولا في الحديث؛ إذن كيف يخلقون أنفسهم وقد كانوا عدمًا؟، إذن بقي السؤال الأول والجواب عنه؛ حيث يتبنىٰ بعض المتكبرين المكابرين أن هذا الخلق وُجِد هكذا بالصدفة من غير خالق.

وأقسم بالله غير حانث أن هذا الفريق من الملاحدة غير صادقين وغير مقتنعين بما يجادلون به؛ إذ كيف يكون هذا الكون العظيم بنواميسه ونظامه الدقيق، وبما فيه من الحكم الباهرة؛ التي لا تصدر

إلا من خالق عظيم مريد عالم قادر حكيم؛ كيف يكون هذا بمحض الصدفة والموافقة؟!؛ بل لو نظروا إلىٰ أنفسهم وعجائب خلقتها وما فيها من الأجهزة والأعضاء والأعصاب والعروق والعظام التي ركبها الله عَزَّوَجَلَّ بحكمة وانتظام في عمل دءوب دقيق، هل كل هذا الخلق العظيم في الآفاق والأنفس، جاء بمحض الصدفة؟!

إنك لو قلت لهؤلاء القوم في مخلوق صغير من صنع الإنسان، كصنع سيارة أو طائرة أو سفينة: إن هذه السيارة أو الطائرة أو السفينة خرجت علينا بمحض الصدفة، فتركَّب هيكلها ومحركاتها، وربط بعضها ببعض، وربطت أسلاكها بمصدر الطاقة فيها؛ فتكوَّن كل ذلك أمامنا بمجرد الصدفة، ومن نفسها بنفسها، من غير صانع؛ لو قلت لهم ذلك لسفَّهوا

عقلك، وردوا مزاعمك، فما بالهم ينكرون هذا في صُنعٍ صغير من صُنعِ البشر، ولا ينكرون ذلك في مخلوقات الله العظيمة؟! إنه هوىٰ النفس، والمماحكة، وإغواء الشيطان.

وأنقل هنا في هذا المقام وبهذه المناسبة كلامًا مفيدًا، في مناظرة جرت بين ملحد حيران وبين عالم من علماء المسلمين، وهي مناظرة طويلة لكني هنا أنقل كلام الشيخ لهذا الحيران في موضوع الصدفة، وأنها متهافتة ساقطة من أصلها عقليًّا وعلميًّا وشرعيًّا.

قال الشيخ: «إن حظ المصادفة من الاعتبار، يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المتزاحمة؛ فكلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ازداد حظ المصادفة من النجاح، وكلما

كثر عددها قل حظ المصادفة؛ فإذا كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين، يكون حظ المصادفة بنسبة «واحد ضد اثنين»، وإذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة «واحد ضد عشرة»؛ لأن كل واحد له فرصة للنجاح مماثلة لفرصة الآخر، بدون أقل تفاضل طبعًا.

وإلىٰ هنا يكون الحظ في النجاح قريبًا من المتزاحمين، حتىٰ لو كانوا مائة أو ألفًا، ولكن متىٰ تضخمت النسبة العددية تضخمًا هائلًا؛ يصبح حظ المصادفة في حكم العدم؛ بل المستحيل.

ذلك لأنه إذا اتفق لصبي أعمىٰ أن سحب من صندوق فيه عشرة أوراق مرقمة: الرقم «١»، قلنا إن حظ المصادفة للرقم «١» تغلب علىٰ الأعداد الأخرىٰ

المتزاحمة معه بنسبة «واحد ضد عشرة»، وأما إذا اتفق أنه سحب العددين «١و ٢» بالتتابع قلنا إن حظ المصادفة للعدد الثاني هو بنسبة «واحد ضد مائة»؛ لأن كلًّا من العشرة يزاحم «للرتبة الثانية» ضد عشرة فيصبح التزاحم بين مائة، وإذا اتفق أن سحب الصبي الأعمىٰ الأوراق الثلاث «١ و٢ و٣» علىٰ التوالي؛ قلنا: إن حظ المصادفة بنسبة «واحد ضد الألف»؛ لأن كلًّا من العشرة يزاحم ضد مائة، وهكذا فإذا افترضنا أن الصبي سحب الأوراق العشرة علىٰ ترتيب أرقامها؛ فإن حظ المصادفة يصبح بنسبة «واحد ضد عشرة مليارات».

ثم قال الشيخ للشاب الحيران: «سأنقلك إلىٰ ترتيب آخر في شكل آخر وأعداد أكثر:

لو فرض أنك تملك مطبعة فيها نصف مليون حرف مفرقة في صناديقها، فجاءت هزة أرضية قوية قلبت صناديق الحروف علىٰ بعضها البعض، وبعثرتها وخلطتها، ثم جاءك منضد الحروف ليخبرك أنه قد تألف من اختلاط الحروف بالمصادفة عشر كلمات متفرقة غير مترابطة المعاني، فهل كنت تصدق؟

حيران: نعم أصدق.

الشيخ: ولكن لو قال لك إن الكلمات العشر تؤلف جملة كاملة مفيدة، فهل كنت تصدق؟

حيران: أستبعد ذلك جدًّا كما استبعدته في مثال الورقات العشر السابق ذكره، ولكني لا أراه مستحيلًا.

الشيخ: ولكن لو أخبرك أن حروف المطبعة بكاملها كونت عند اختلاطها بالمصادفة كتابًا كاملًا من «٥٠٠» صفحة، ينطوي علىٰ قصيدة واحدة، تؤلف بمجوعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة، بألفاظها وأوزانها وقوافيها ومعانيها ومغازيها؛ فهل كنت تصدق ذلك يا حيران؟.

حيران: أبدًا لا أصدقه يا مولاي.

الشيخ: ولماذا لا تصدقه يا حيران؟.

حيران: لأني هنا أجد الاستحالة بديهية حقًّا.

الشيخ: ولماذا يا حيران؟.

حيران: لا أدري يا مولاي، ولكني عندما أتصور أن الورقات العشر ألقيت علىٰ ترتيب أرقامها بالمصادفة، لا أجد وجه الاستحالة واضحًا

وبديهيًّا كما أجده في مثال الكتاب.

الشيخ: أتدري ما هو السبب في ذلك يا حيران؟.

حيران: كلا يا مولاي.

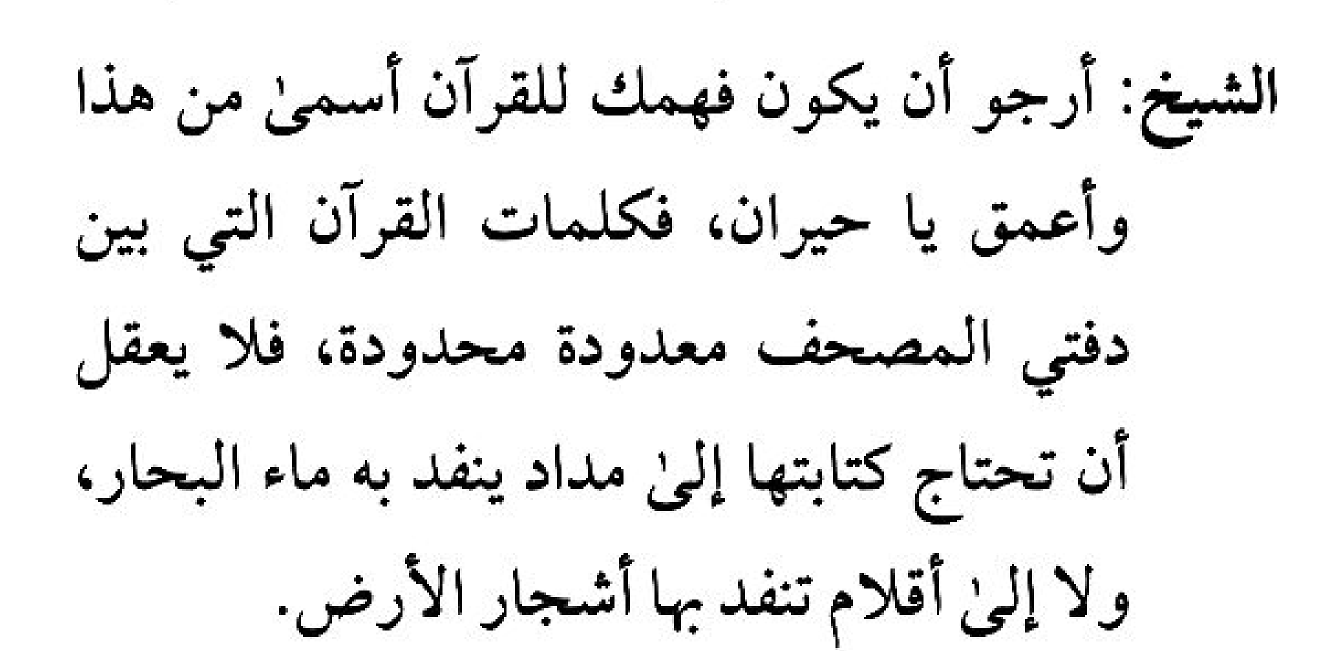
الشيخ: السبب يرتكز علىٰ قانون المصادفة نفسه، فالتزاحم بين الورقات المرقمة يجري بين عشر ورقات علىٰ عشرة ترتيبات؛ فيجعل حظ المصادفة بنسبة واحد إلىٰ عشرة مليارات، وهذه النسبة، علىٰ تفاوتها الكبير، ليست من العظم بحيث تحدث لك في عقلك تلك البداهة في إدراك الاستحالة، ولكن التزاحم بين حروف الكتاب يجري بين «٥٠٠» ألف حرف علىٰ تكوين «١٢٥» ألف كلمة تقريبًا، بأشكال وترتيبات لا تعد ولا تحصىٰ، وهذا ما يجعل حظ المصادفة بنسبة واحد ضد عدد

هائل جدًّا جدًّا، لو قلت عنه: إنه مليار مليار مليار مليار لكان قليلًا.

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المعدودة المحدودة يا حيران، فما قولك في كتاب الله الأعظم، وكلماته التي يقول عنها جلت قدرته: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩].

ويقول: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ [لقمان:٢٧]؟.

حيران: هل تعني يا مولاي بكتاب الله القرآن وما فيه من كلمات؟



الشيخ: أرجو أن يكون فهمك للقرآن أسمىٰ من هذا وأعمق يا حيران، فكلمات القرآن التي بين دفتي المصحف معدودة محدودة، فلا يعقل أن تحتاج كتابتها إلىٰ مداد ينفد به ماء البحار، ولا إلىٰ أقلام تنفد بها أشجار الأرض.

حيران: هذا والله ما كنت أقوله في نفسي.

الشيخ: كلا يا حيران، وإنما عنيت بكتاب الله هنا العالم كله، وعنيت بكلمات الله، كما أراد الله، كل ما في ملكوت السموات والأرض من شيء محسوس من عالم الخلق، أو معقول من عالم الأمر، والذي لم يخلق إلا بكلمات ربي، وكيف تنفد كلمات ربي يا حيران، وكل ذرة من مياه البحار وأشجار الأرض إنما تمت بكلمات ربي؟؛ بل كل ما في الكون من ذرات

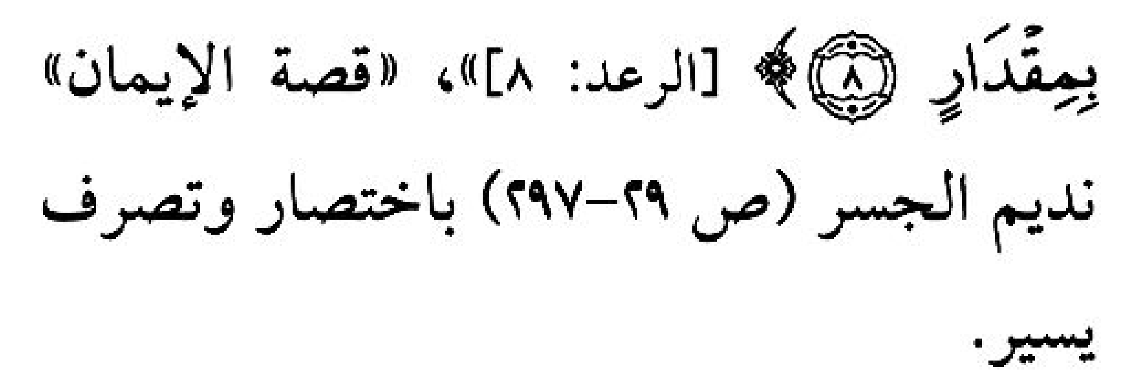
وعناصر ونظم وقوانين ونواميس، ونسب وروابط وعلائق، وأقدار وأحجام وأوزان، ومدد وأوقات وأزمان، وصور وأشكال وألوان، وحركات وسكنات وأوضاع، وأجناس وأصناف وأنواع، كلها تمت بكلمات ربي.

ثم تعال وتدبر في: «العلم والقرآن» بعضَ ما في هذا العالم من تقدير، واتزان، وتنظيم، وترتيب، وإحكام، وإتقان، لنعرف ما هو حظ المصادفة في تكوينه؟

وصدق الله تعالىٰ إذ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

ويقول سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفرقان: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ



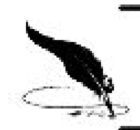
بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ [الرعد: ٨]»، «قصة الإيمان» نديم الجسر (ص ٢٩-٢٩٧) باختصار وتصرف يسير.

وبذلك تظهر تفاهة وسخافة عقول القائلين بأن هذا الكون في دقته وعظمته المتناهية، وما فيه من الحكم الباهرة؛ إنما كان ذلك بمحض الصدفة والموافقة!، ووالله إنهم ليعلمون إنهم لكاذبون متناقضون، ولكنهم هاربون من الله عَزَّوَجَلَّ، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

ولذلك رجع كثير من ملاحدة الفلاسفة عن القول بمبدأ المصادفة في خلق هذا الكون العظيم؛ وذلك عندما سفه الناس عقولهم، ووجدوا أنفسهم متناقضين مضطربين، ولكنهم وبدلًا من أن يفروا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ،

ويتوبوا إليه ويؤمنوا بوجوده وعظمته وصفاته العظيمة، وأنه خالق كل شيء، فيعبدوه ويوحدوه؛ اخترع لهم الشيطان فكرة خبيثة؛ فقالوا: إن لهذا الكون خالقًا مختارًا مريدًا قادرًا حكيمًا عليمًا، ولكنهم لمَّا كانوا هاربين من الله عَزَّوَجَلَّ، نسبوا هذه الصفات من الخلق والقدرة والحكمة والإرادة إلىٰ ما يسمونه «الطبيعة»، فهي التي صدر عنها هذا الخلق العظيم البديع بزعمهم.

وهنا نقول لهم: وماذا تقصدون بـ«الطبيعة»؟؛ هل هي عاقلة مريدة حكيمة عالمة قادرة؟؛ لأن هذا الكون العظيم لا يخلقه إلا مَن له هذه الصفات العظيمة، فإن قالوا: نثبت لهذه الطبيعة الخالقة هذه الصفات، فلابد حينئذ أن



نقول: إن هذه بعض صفات الله الحسنىٰ، فاتركوا كلمة «الطبيعة» وقولوا: «الله عَزَّوَجَلَّ».

ولكنهم هاربون من الله عَزَّوَجَلَّ، فكلما حُوصِروا بأدلة وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ، وتفرده بالخلق والإحياء والإماتة والتدبير؛ هربوا منها ونسبوا ذلك إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ.

قال سبحانه: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف:١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكفىٰ بهذا الإعراض والتكبر ظلمًا وعتوًّا وعدوانًا، والجزاء من جنس العمل.

❊ ❊ ❊ ❊

التقرير الرابع

إذا استقر الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ في القلب، وأنه المتفرد بالربوبية والألوهية والأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وعرف العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المعرفة التي يعرف بها عباده في كتابه وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ دخل الايمان والسعادة من بابها وأساسها، ووجد العبد نفسه مؤمنًا منقادًا لبقية أصول الإيمان وأركانه؛ حيث إن من مقتضيات الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ: تصديقه سبحانه في أخباره، والإذعان له في أحكامه، ومن أخباره سبحانه في كتابه: ما أخبر به عن ملائكته، وكتبه، ورسله،

واليوم الآخر والقدر، فلزم من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به عن نفسه من الأركان الخمسة الباقية، ومن كفر بشيء منها كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لعدم تصديقه في أخباره، إذن فالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ هو أصل الأصول، وبابها الذي يدخل منه علىٰ الإيمان ببقية الأركان والأصول.

ولكن قد تجول في القلب، عند بعض المتأثرين بشبهات خصوم هذا الدين، بعضُ الشبهات حول رسالة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحول القرآن وأنه من كلام محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الشبهة ساقطة من أصلها عند من آمن بالله عَزَّوَجَلَّ، وأنه عظيم قادر حكيم عادل رحيم له الأسماء الحسنىٰ، وقد فند هذه الشبهة أهل العلم في

القديم والحديث من وجوه كثيرة، وهذه الشبهة لا تستحق الرد؛ كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

وأكتفي بجواب واحد علىٰ هذه الشبهة أنقله من كلام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ حين يقول:

«وقد جرت لي مناظرة بمصر، مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمدًا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة.

فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟

قلت له: اسمع الآن تقريره:

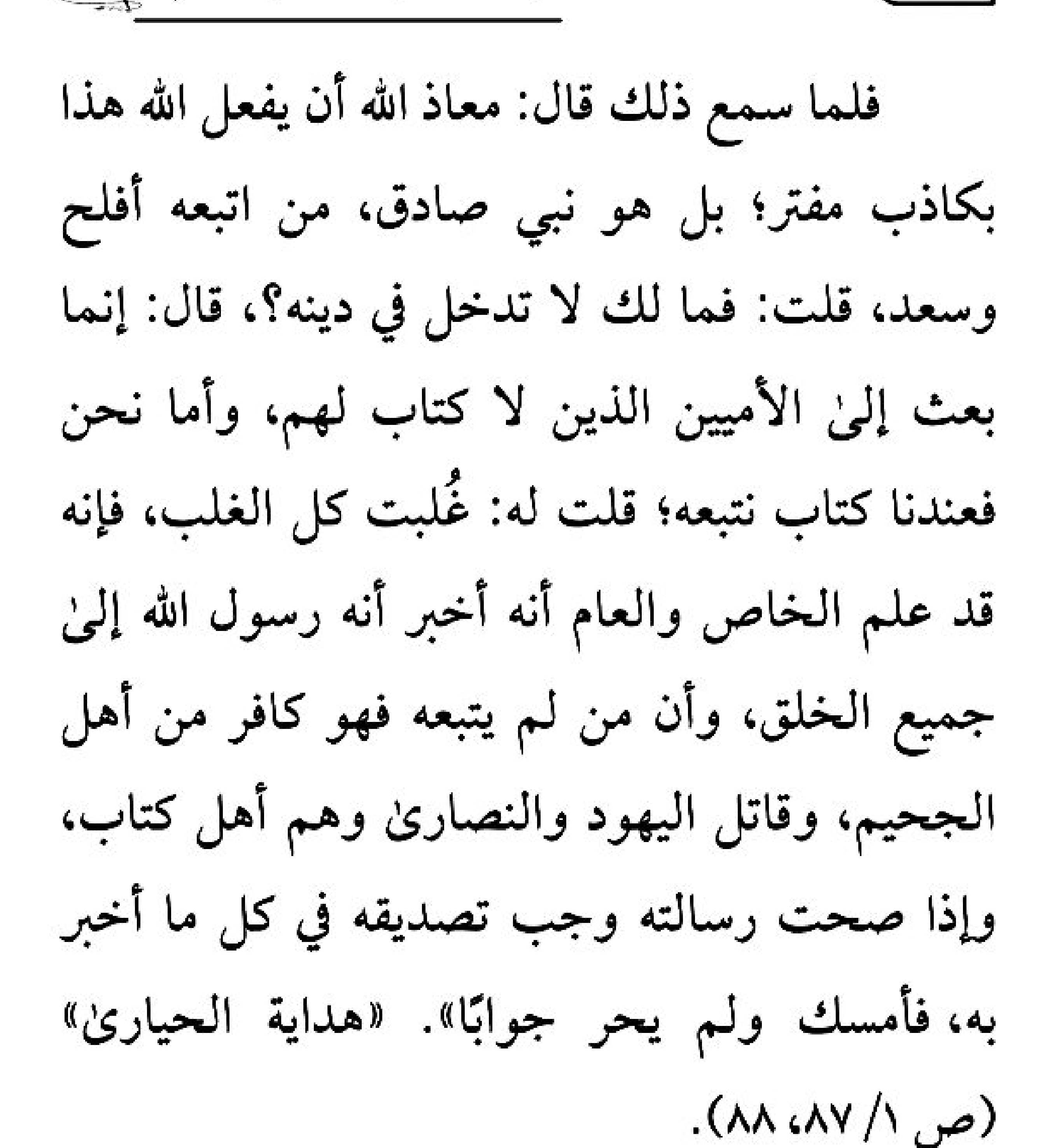
إذا قلت: إن محمدًا ملك ظالم قهر الناس، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثًا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله، وأرسله إلىٰ الخلق كافة، ويقول: إن الله أمرني بكذا، ونهاني عن كذا، وأوحىٰ إلي كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني أو خالفني، ونساءَهم غنيمة، وأموالهم، وقتلَ رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم.

فلا يخلو: إما أن تقول: إن الله سبحانه كان يطلع علىٰ ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقول: إنه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلتم: لم يعلم به، نسبتموه إلىٰ أقبح

الجهل، وكان مَن علم ذلك أعلم منه.

وإن قلتم: بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه؛ فلا يخلو: إما أن يكون قادرًا علىٰ تغييره، والأخذ علىٰ يديه، ومنعه من ذلك، أو لا؛ فإن لم يكن قادرًا فقد نسبتموه إلىٰ أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادرًا وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده، ويعليه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويُظهر علىٰ يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد علىٰ الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له؛ فهذا من أعظم الظلم والسفه؛ الذي لا يليق نسبته إلىٰ آحاد العقلاء، فضلًا عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره علىٰ دعوته وبتأييده وبكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟



فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر؛ بل هو نبي صادق، من اتبعه أفلح وسعد، قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟، قال: إنما بعث إلىٰ الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه؛ قلت له: غُلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلىٰ جميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارىٰ وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، فأمسك ولم يحر جوابًا». «هداية الحيارىٰ» (ص ١/ ٨٧، ٨٨).

❋ ❋ ❋ ❋

التقرير الخامس

في هذا التقرير أتوجه بالنصح لكل من وقع في شيء من هذه الوساوس والشكوك بالنصائح التالية:

النصيحة الأولىٰ: الجأ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، واسأله وتضرع إليه في أوقات الإجابة أن يهديك ويثبتك علىٰ دينه، وأكثر من الاستعاذة والاستجارة بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم.

النصيحة الثانية: تأمل ما ورد في التقارير السابقة بعقل متزن غير مشوش، فلعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديك بسببها.

النصيحة الثالثة: قاطع مجالس أهل الشبهات ومواقعهم وكتبهم وابتعد عنها، فكم كانت سببًا في زيغ القلوب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

النصيحة الرابعة: اعلم أن نعيم الروح وسعادتها في الدنيا والآخرة، هي في الإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له، وأن التعاسة والشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة لمن أعرض عن الله عَزَّوَجَلَّ والإيمان به، والواقع يشهد بذلك؛ فلقد صرح كثير ممن يعيشون هذه الخواطر الرديئة، بأنهم يعيشون في عذاب وعناء وشقاء لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وأنقل بهذه المناسبة وصية الشيخ الذي سبق ذكرها في مناظرة الشاب «حيران»، وانتهت بإيمان الشاب وهدايته، يتحدث فيها عن نعمة الإيمان فيقول:

«اعلم أن الإيمان بالله حق وحاجة وضرورة؛ فأما أنه حق؛ فقد عرفته مما حدثتك به في تلك الليالي الطِّوال التي عشتها معي، وأما أنه حاجة وضرورة فإنك تعلم يا حيران حين تدرك، ويدرك المؤمنون والملحدون قاطبة علىٰ السواء؛ أن الإيمان بالله هو أس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضا والقناعة بالحظوظ، ونور الأمل في الصدور، وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة، وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه، والعروة

الوثقىٰ بين الإنسانية ومُثُلها الكريمة...

وبدون الإيمان نكون أسوأ حظًّا في الحياة، وأدنىٰ رتبة في سُلَّم المخلوقات من أذل البهائم وأضعف الحشرات وأشرس الضواري؛ فالبهائم تجول كما نجول، ولكنها في نجوة من همِّ الرزق، وخوف الفقر، وكرب الحاجة، وذل السؤال.

وهي تلد كما نلد، وتفقد أولادها كما نفقد، ولكنها في راحة من هلع المَثْكلة، وجزع المَيْتة، وهم اليتامىٰ المستضعفين...

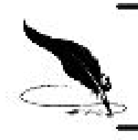
وهي في أجسادها تلذذ كما نتلذذ، وتألم كما نألم، ولكنها في راحة مما يأكل القلوب، ويقرح الجفون، ويقض المضاجع، ويقطع الأرحام، ويفرق الشمل، ويخرب البيوت؛ من المهلكات: كالحسد،

والكذب، والنميمة، والفرية، والقذف، والنفاق، والخيانة، والعقوق، وكفر النعمة، ونكران الجميل.

وهي تعرف بنوع من الإدراك ما يضرها وما ينفعها، ولكنها في نجوة من أعباء التكليف، وأثقال الأوزار، ومَضَض الشك، وكرب الحيرة، وعذاب الضمير.

وهي تمرض كما نمرض، وتموت كما نموت، ولكنها في راحة من التفكير في عقب المرض، وفراق الأحباب، وسكرات الموت، ومصير الموتىٰ وراء القبور...

والضواري تسفك الدماء لتشبع بلا سرف؛ ولكنها لا تسفكها أنفًا ولا جنفًا ولا صلفًا ولا ترفًا ولا علوًّا في الأرض ولا استكبارًا.



أما هذا الحيوان الفيلسوف، الضعيف الهلوع، الجزوع المِطْماع، المختال الفخور، المترف المتكبر، المتجبر السافك للدماء، الذي لا يأتيه شقاء الحياة أكثر مما يأتيه إلا من تفكيره؛ فإنه لا علاج لشقائه إلا بالإيمان؛ فالإيمان هو الذي يقويه، وهو الذي يعزيه، وهو الذي يسليه، وهو الذي يمنِّيه، وهو الذي يرضيه، وهو الذي يجعله إنسانًا يسعىٰ إلىٰ مثله الأعلىٰ لتسجد له الملائكة؛ من دون هذا الإيمان يكون هذا الإنسان المسكين أتعس الخلائق، وأسوأها حظًا، وأعظمها شقاءً وأشدها بلاء، وأحطها رتبةً، وأرذلها مصيرًا». «قصة الإيمان» (ص ٤٣٩-٤٤١) باختصار.

النصيحة الخامسة: تأمل معي وتدبر هذه الآيات الكريمات التي تهز القلوب الحية، ولو أنزلت

علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت: ٩].

وأختم هذه الآيات بآيات من سورة آل عمران، تزلزل القلوب، وتهدد من أصرَّ علىٰ ضلاله وعناده، بعد أن بانت له الحجج والبينات، ثم لم يهتد واتبع

هواه، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد يحول بينه وبين التوبة والهداية عياذًا بالله تعالىٰ:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٨٦- ٩١].

وبعد:

فهذا ما يسره الله عَزَّوَجَلَّ من كتابة حول هذا الأمر الجلل، فما كان فيه من حق وصواب فهو من الله عَزَّوَجَلَّ، فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحبه

كتبه

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

حرر في ٥/ ١٢/ ١٤٣٧هـ

فهرس المحتويات

❋ ❋ ❋ ❋